إثبات النبوة بالأدلة النقلية والعقلية عند الإمام ضياء الدِّين خطيب الريِّ (ت بعد ٥٥٠هـ/١١٥٥م)

Proof of Prophethood with Transmission and Mental Evidence according to Imam Zia al-Din Khatib al-Rai

(d. after 550 AH / 1155 AD)

الباحث: نبيل سامي حسين العاصي

Researcher: Nabil Sami Hussein Al- Assi

جامعة الجنان \ كلية العلوم والآداب الإسلامية

Jinan University \College of Islamic Sciences and Arts

E-mail: nbylsamy039@gmail.com

الكلمات المفتاحية: المعجزة، الدليل على النبوة، الرد على المنكرين.

Keywords: The miracle, the evidence of prophecy, the response to the deniers.

الملخص

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ويارِبِّ صــلِّ وســلم على حبيبنا المصــطفى ﷺ، وعلى آله وصحبه في الأولين والآخرين، وفي الملأ الأعلى الى يوم الدِّين، وكما يليق بكماله ﷻ. وبعدُ..

خلاصة البحث

فإنّ النبّوة تمثل في علم العقائد الركن الثاني بعد الإلهيات، وهي أســاسُ الإيمان والسعادات في الدنيا والآخرة، بها يتعرّفُ الخلق على خالقهم وتعاليمه، وهي مِنّةٌ ونعمة وإحسانٌ تســتحقُ الشــكرَ، والنبوةَ هي الطريقُ الأوحد لهداية الناس، والترجمةُ العمليةُ لمراد الحق ﷻ من خلقه؛ ونسبر حياة إمام له بصمته في زمانه ومكانه مستورٌ مندثرٌ ذكره وأثره، فأبرزنا أثراً من إرثه في علم الكلام يُنافح عن عقيدة أهل الحق، وهو مبحث من كتاب (نهاية المرام في دراية الكلام) للإمام شرف الخطباء ضياء الدين عمر بن الحسين خطيب الرّي(ت بعد ٥٥٠هـــ/١١٥٥م)، والذي يُثبتُ بالأدلة النقلية والعقلية جواز بعثة الأنبياء للرد على المخالفين والمنكرين لها. نســأله تعالى ﷻ أن يجعلنا مِمَنِ اقتدى واهتدى، وكان هواهُ تبعاً لما جاءَ به رسولنا نبي الهدى ﷺ.

Abstract

For prophecy is represented in the science of doctrines as the second pillar after divinities, and it is the basis of faith and happiness in this world and the Hereafter, through which creation recognizes their Creator and His teachings, and it is a favor, blessing, and benevolence that deserves thanks. And we probed the life of an imam who had his imprint in his time and place, his remembrance and impact were buried, so we highlighted a trace of his legacy in theology that defends the doctrine of the people of truth, and it is a topic from the book (Nihaayat al-Maram fi Dirayat al-Kalam) by Imam Sharaf al-Khataba Diaa al-Din Omar bin al-Hussein Khatib al-Ray (d. after 550 AH / 1155 AD), which proves with textual and mental evidence the permissibility of sending the prophets to respond to the violators and those who deny it. We ask Him, the Almighty, to make us among those who follow and are guided, and whose desires were according to what our Messenger, the Prophet of guidance, peace be upon him, came with.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على المصطفى المختار الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه ومن والاه وسلم..

أمّا بعد..

فإنَّ شرف العلم تابع لشرف المعلوم، وربنا سبحانه تعالى امتنَّ على خلقه ببعثة الأنبياء هدايةً ومنهجاً للبشرية، ومِنْ فضله سبحانه إرسال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام الخاتم والناسخ والسيد الرحمة المهداة والشفيع خير خلق الله؛ ولأهمية موضوع النبوة كون العقل لا يهتدي إلى ما يُنجيه في آخرته، كالسقيم الذي لا يهتدي إلى شفاء علته إلا بالطبيب الحاذق، ولتفاوت المدارك في التحسين والتقبيح للأشياء، وقد ترى اليوم رأياً وغداً تنقضه فكانت الحاجة ضرورية للنبوة، ولشغفي بنبينا الحبيب ولعدم بحث الموضوع كدراسة أكاديمية عند الإمام خطيب الرّي أحببت أن ألِجَ هذا المضمار، راجياً من الله تعالى القبول وأن يكون ما كتبته زاداً إلى حسن المصير إليه.

أولاً: أهمية الموضوع:

١. إبرازُ شخصيةٍ ذات قيمة علمية؛ لم تَحضَ باهتمام الباحثين، لها بصمتُها في زمانها ومكانِها، ألا وهو الإمامُ "ضياءُ الدِّين والدُ الإمام فخر الدِّين محمد بن عمر الرَّازِي"، وتبيانُ آرائِه الكلامية.

٢. بيانُ آراءِ الإمامِ في مسائل النبوات من كتابه "نهايةِ المرامِ في درايةِ الكلامِ" الذي تناول دقائقَ مسائلِ العقيدة وآراءَ المخالفينَ والردَّ عليهم.

ثانياً: أهداف الدراسة:

١. دراسة كتاب في علم الكلام ألا وهو: (نهايةِ المرامِ في درايةِ الكلامِ)؛ الذي لم يقم باحث بالعمل به إلى تأريخ إعداد البحث.

٢. تسليطُ الضوءَ على الآراء العقدية للإمام ضياء الدين، وما تميز به كتابه من مباحث كلامية والرد على المخالفين.

ثالثاً: الإشكاليات التي دعتني لكتابة البحث:

١. يحلُّ البحثُ إشكاليةَ بَعثةِ الأنبياءِ، بين جمهورِ أهلِ السُنّةِ وأهلِ الكلامِ والفلاسفةِ.

٢. يعالجُ موضوع أدلة إثبات النبوة، وهل المعجزات تُعَد برهانَ دعوى النبي؟

٣. الإجابة عن إشكاليّةِ هل العقلُ حاكمَ أم الشرع، وإثبات أنَّ الشرعَ لا يأتي بما يُخالفُ العقل، والعقلُ لا يُتَابَع بما يُخالف الشرع. وحلَّ الإشكاليّة مع المخالفينَ بالدَّليل.

محتويات البحث:

اقتضى بحثي في هذه الدراسة أن أُقَسِّمَ بحثي على النحو الآتي:

المقدمة.. وذكرتُ فيها أهمية الموضــوع، وأهداف البحث، والإشـكاليات وشـملت خطة البحث ما يلي:

مبحث: شخصية الإمام ضياء الدين خطيب الري، وإثباته النبوة بالأدلة النقلية والعقلية.

المطلب الأول: ترجمة حياة الإمام ضياء الدين خطيب الرّي.

المطلب الثاني: إثبات النبوة بالأدلة النقلية والعقلية:

الفرع الأول: بِمَ تثبت النبوة؟

الفرع الثاني: إثبات النبوة بالأدلة النقلية.

الفرع الثالث: إثبات النبوة بالأدلة العقلية.

المبحث الثاني: الرد على المخالفين.

الخاتمة والنتائج.

المبحث الأول: إثبات النبوة بالأدلة النقلية والعقلية عند الإمام ضياء الدين خطيب الرّي (ت بعد ٥٥٠هـ/١١٥٥م):

المطلب الأول: ترجمة الإمام ضياء الدّين خطيب الرّي:

اســم الإمام: هو ضــياء الدّين، عمر بن الحســين بن الحســن بن علي بن محمد الطَّبَرسْــتَاني الأصل، الرازيّ المولد [١]، شافعي المذهب، أشعري العقيدة [٢].

نسبه: يرجع نسبه إلى: القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق التيمي القرشي البكري [٣].

كنيته وشهرته: أبو القاسم، وذكره ولده فخر الدين الرازي [٤] في موضعٍ سَمَّاه (أبا حفصٍ) بقوله: "الإمام أبي القاسم والدي وشيخي الإمام أبي حفص عمر بن الحسين "[٥].

لقبه: (خطيب الرّي) [٦]، وصَدَّرَ الإمام كتابه بلقب (شرف الخطباء) قبل ذكر اسمه في صفحة عنوان الكتاب، وكان ولده الفخر الرازي يُلَّقب بـ (ابن خطيب الرّي) [٧].

شيوخه:

١. الإمام أبي القاسم الأنصاري(ت٥١٢هـ/١١١٨م)، وأخذ عنه ما كان يبرع فيه من علوم الكلام والتفسير [٨].
٢. الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي (ت٥١٦هـ/١١٢٢م)، وأخذ منه علم الفقه والفروع [٩].

لم نعرف بالضــبط عدد تلاميذ خطيب الرّي؛ لأنّ المصــادر التي بين أيدينا لم تذكرهم، لكنّهم بلا شك يمثّلون نسبةً كبيرة فقد كان يجلس للتدريس والوعظ، ويجتمع في مجلسه خلق كثير من الناس، اشتهر بذلك بين العام والخاص [١٠].

تلامذته: ولده الفخر الرازي [١١]، الذي هو حسنةٌ من حسنات والده، فقد جعله على الجادَّة، وكفاه معاناة طلب العلم على يد غيره في حياته، حتى انتقل الإمام إلى جوار ربّه ﷻ، وكان يذكر والده دوماً بكلِّ احترام وإكبار فيدعوه "أستاذي في أصول الدين الإمام السعيد والدي.."[١٢].

وفاته: جميع من ترجم للإمام خطيب الرّي يذكرون أنّه كان حياً قبل سنة (٥٥٩ هـ/١١٦٤م) ولم يُعثر على تراثه وتفاصيل حياته؛ لضياع آثاره ولم يذكرها أهل التاريخ للظروف السيئة حينذاك.

كان الإمام ضـــياء الدين خطيب الرّي من أجلاء العلماء الربانيين الأفاضـــل ومن بين أخيار ما جادت به مدينته، مكانته جليلة وقدره معتبر ووظيفته الاجتماعية مميزة، وعباراته مسبوكة، وبراعته البلاغية وجَنَانه عامرٌ قوي، عباراته محبوكة، وله شهرة وتميّز، قليل المثل [١٣]. وَرَدَ وصـفه في الصـفحة الأولى من النسـخة الخطية لمصـنفه [١٤] بالآتي: الشـيخ الإمام الأجَّل الزاهد خطيب الرّي شمس الإسلام شرف الخطباء أبو القاسم عمر بن الحسين بن الحسن الطبري المكي[١٥]، كان مقدّماً في علم الكلام، يجمع بين الفقه وأصـــول الفقه والتصـــوّف والبلاغة، كأنّه يحكي ألفاظ مقامات الحريري من حُسنه وحلاوته ورشاقة سجعه[١٦]، ولأوصـافه وأخلاقه الحميدة فقد مَلَك قلوب كثيرٍ من الناس، وكَثُرَ طلاب العلم عنده لعلمه وتواضـــعه[١٧]، وهذا هو دأبُ العلماء التأسّـــي بأخلاق القرآن، واتّباع سـنة النبي العدنان ﷺ، وكالشـامة بين الناس ورَّاث النبي والمنافحين عن دعوته وطريقته.

وأسفي لِفَقْدِ المصادر المعنيّة بالإمام وأسرته، سوى ما ثبت عن شهرة ولده الفخر الرازي، فأكثر مَن ترجم لخطيب الرّي الإمام عبد الوهاب تاج الدين السُبكي [١٨] في كتابه طبقات الشافعية [١٩]، ولم تذكر المصادر التاريخية سنة مولده إلاَّ أنَّه نشأ خطيب الرّي في بيت علمٍ ودين، ترأس أبناء هذا البيت منابر العلمِ، حيث كان لوالده مكانته العلمية والاجتماعية، وكان خطيباً بالرّي [٢٠]. ولـه دوره في زمـانـه، كمتكلمٍ وفقيهٍ ومصـــلحٍ [٢١]، وبحكم مقامـه العلمي والإرشـــادي والاجتماعي، ترقى الإمام خطيب الرّي وسط هذه البيئة المشجّعة، حتى نال ما يستحقّ من تكريم دنيوي وأصـبح له طلاب.. تبحّر خطيب الرّي في علوم أصـول الفقه والعقيدة حتى رسـخت قدمه في العلم، ويعزّز في كتابه أقواله بأقوال مشـايخه في الردود، ويذكر سـلسـلة سـند مشـايخه [٢٢]، وصـولاً الى إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري [٢٣]، ولشدة تأثّره به عقد فصـلاً في نهاية كتابه (نهاية المرام في دراية الكلام) في فضائل الإمام وأتباعه [٢٤].

ويُعْتَبَرُ خطيب الرّي إماماً [٢٥] في المذهب الأشـعري [٢٦]، وله كتابه المتضـمن في علم الكلام وهو: (نهايةِ المرامِ في درايةِ الكلامِ)، ومنهجه في العقيدة على خُطى شـــيوخه من متكلّمي الأشـاعرة في زمانهم [٢٧]، خصّـصـــهُ في الردّ بالبراهين العقلية والنقلية على خصـوم الدين وأهل الشُبهات في أدق التفاصيل وجزئيات الفروع من مفاصل مباحث الكلام.

المطلب الثاني: إثبات النبوة عند الإمام خطيب الرّي:

سنشرع بإثبات النبوة بالأدلة النقلية والعقلية للأنبياء عليهم السلام، والتي تخاطب العقول والقلوب، والتي تُثْبِتُ نِعَمِ الله ﷻ بالإيجاد والإمداد والهداية والإرشاد، لنتعرّف على عظمة الله في القرآن المقروء والمنظور، ويجسّد تلك البراهين سلوكيات وأخلاقيات شخص النبي ﷺ الذي لبث فيهم عُمُراً ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وجاءهم بشرائع؛ لإصلاح مناحي الحياة كلِّها.

الفرع الأول: بِمَ تَثْبُتُ النبوّة عند خطيب الرّي:

النبوّة هي اجتباء واختيار واصطفاء بإرادة الله ﷻ لمن يشاء من أوليائه، وهي ليست راجعة إلى ذاتٍ من ذاتيّات النّبي ﷺ، ولا إلى عَرَضٍ من أعراضه المكتسبَة له؛ إنّما هي منحةٌ لعبدٍ يتفضّل عليه ربنا سبحانه ﷻ بالتميّز، والأمر يعود لقول الله ﷻ لمن اصطفاه من عباده: أوفدتك فحَدِّثْ عنّي [٢٨]، ففي بعثة الرسل مقاصدُ ومصالح للخلق كثيرة ليس هذا مجال سردها.

يقول خطيب الرّي:" فإنّ النبوّة إنّما تثبُتُ بتعلّق خطاب الله ﷻ لعبده إنّك رسولي كالأحكام الشرعية من الأمر والنهي والحلّ والحرمة وغيرها، إلّا أنّ الكلام وإن كان قديماً إلّا أنّها تتعلّق بمعلقاتها على تقدير الوجود، على معنى أنّه إذا وُجد استجمع شرائط التكليف؛ فحينئذ يتعلّق به كذلك هاهنا"[٢٩]، ورداً على شبهات المنكرين يقول أيضاً: " قد شذّ منكم ما هو الموصل المقصود فإنّه يجوز عقلاً أن يُسْمِعَه الله ﷻ خطابه العزيز، ويخلق له علماً ضرورياً؛ بأنّه كلامه العزيز، أو إذا جاء إليه مَلَك ويبلغه عن الله ﷻ خطاباً فيخلق الله تعالى له علماً به، أو يرى أنّه من الله تعالى من إنطاق شجرة أو إحياء ميّت أو غير ذلك من جوازٍ، والعادات تستدلّ بتلك الآية على أنّ الله تعالى هو الذي أرسل ذلك المَلَك، وما هذا في المثال إلّا كالواحد منّا إذا سمع كلام لسان غيره فيعلم عند ذلك كلام نفسه، وعلمه بكلام نفسه، إنّما يحصل له بخلق الله ﷻ ذلك العلم كذلك هاهنا والله الموفّق والمعين"[٣٠].

وهؤلاء الرجال عندهم الاستعداد لتلّقي مهمة ثقيلة، يُعرفون بآثارهم التي هي الوحي والمعجزة، فلا تُنَال هذه المرتبة بشدّة الكسب، ولا بتكلّف الطاعات وكثرتها، ولا بالرياضات، بل هي توفيق إلهي، فيقول خطيب الرّي: "وقد أخطأ من قال إنّ النبوّة –تأتي– بكثرة الطاعات فإنّ الله ﷻ لا يضرّهُ كُفران، ولا ينفعه إيمان، وقد ثبتَ أنَّ يوسف –عليه السلام– خُصّ بالنبوّة حال الصِبا، وأيضاً ثبُتتْ نبوّة عيسى –عليه السلام– وكان في المهد صبيا.."[٣١].

ويُثْبِتُ خطيب الرّي معرفة النبوّة بدليلي الادِّعاء والمعجزة فيقول:" فإنّ قيل كيف الطريق إلى معرفة من هو نبي؟ قلنا: بالمعجزات إذ لا سبيل إلى مبايعة كل من يدعيها، ولكن تقبل الدعوى بشاهد وتبطش الكف ويقوى ساعد.. أما في الجواز العقلي فلا يمتنع أن الله تعالى ﷻ يخلق لنا علما ضروريا بصدقه أو يخلق سماعاً يتعلق بكلامه العزيز ويصدقه إياه من غير

واسطة ولكن ما جرت به العادة وقد صار بعض الناس إلى أنه لا يمتنع أن يدل دليل آخر على صدقهم، فتصديق الرسول لا بدّ وأن يكون بالمعجزة؛ خارقاً للعادة فلا يدلّ إلّا مقترناً بدعوى النبوّة مع التحدّي وعدم المعارضة"(٣٢).

فنخلص إلى أنَّ إثبات النبوة عند خطيب الرّي يكون بأمرين، أحدهما: إظهار المعجزات التي تعتبر شهادة بصدق الرسول وهي بمنزلة تصديق الله ﷻ لنبيه ﷺ بالقول –بشرط مقرونة بالتحدّي–، والأمر الثاني: التحدي وادّعاء النبوة المقارن للمعجزة، والله تعالى قادر على تصديق أنبيائه، والمعجزة لا تتعلق بقدرة البشر، وإنما هي من بيده الأمر بقوله ﷻ :(كن فيكون).

الفرع الثاني: إثبات النبوة بالأدلة النقلية:

إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ من حياته، وما خصّه الله ﷻ بخصالٍ وأحوالٍ ونبوّة ومعجزات ممّا لا يمكن إنكارها، يقول أبو منصور الماتريدي(٣٣): القول في نبوّة الأنبياء وبخاصة في رسالة نبينا محمد ﷺ ثبت بجوهر الذات الشريفة، ثم بآياتٍ حسيةٍ وعقليةٍ، ثمّ بموافقة ظهور الأحوال التي هي أحوال الحاجة إليه (٣٤)، ويقول القاضي عبد الجبار المعتزلي(٣٥): "إذا عرفت وجود نبينا محمد ﷺ، وأنّه ادّعى النبوّة، وظهر عليه القرآن، وسمع منه ولم يُسمع من غيره، وأنّه تحدّى العرب بمعارضته وقرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله فلم يأتوا به، لا لوجه سوى عجزهم وقصورهم عن الإتيان بمثله، فمتى عرفت هذه الوجوه كلّها كنت عارفاً بنبوة نبينا محمد ﷺ"(٣٦)، فدليل إثبات النبوة عند الإمام خطيب الرّي هو "وجوده ﷺ وادعاؤه النبوة"، فنلاحظ أنَّ مَنْ عايشَه وعرفَه من قومه في عصره، فقد شاهد صدقه وأمانته وخصالَ الكمال فيه؛ ممّا تعاضدت له عدد من الإرْهاصاتِ(٣٧)، تُشير لمكانته وعلوّ المرتبة التي تنتظره مستقبلاً(٣٨)، كلُّ ذلك كان دليل اجتبائه وعظيم قدره، أما لِمن لم يسمع به، ولم يرَه، فدليل صدق النبيّ موضوع القرائن والدلالات والمعجزات المعنوية، كالقرآن الذي تحدّى بفصاحته الثقلين ولم يعارضوه، وحوى من أنواع الإعجاز والنظم(٣٩)، وما فيه من معارفَ أثبتها العلم الحديث، والمتتبّع لذلك يندهش ويوقن أنّه لا ينبغي أنْ يكون إلّا من عند الله ﷻ.

والمعجزات الحسّية التي لازمتْ شأنه العظيم، وأقرّتْ بعلوّ مرتبته، وما أخبرت وبشَّرت به أنبياء الله ممّن سبقَه، تلك العلامات دلائل تدلّ على صدقه واصطفائه للنبوّة، يستحيل عقلاً أنْ تَجتمع كلّ تلك الكمالات في ظاهره وباطنه في بشر غير النبيّ؛ فيتيقن ضرورياً صدقه، ففي هذا دليل وبالتواتر على أنَّه مبعوث من الله ﷻ، ويلزم من هذا صدقه ﷺ(٤٠)، وثبُت في الصحيح: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أحد من هذه الأمة يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلّا كانَ مِنْ أَهْلِ النار)(٤١)، فتُلْزِم الشواهد صدق النبيّ، وهذا كالحكم الشرعي

الذي لا يثبت إلاّ بالدليل الشـــرعي، خلافاً للسُّـــمَنِيَّةُ[٤٢]، والبراهمة[٤٣]؛ كونهم لا يؤمنون إلّا بالمحسوس، وعندهم الأخبار المتواترة لا تُفضي إلى العلم[٤٤].

ودلّل العلماء على مسالِكَ؛ لإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ عن طريق معرفة جوهره الشريف ومعدنه النقيّ قبل النبوّة، وشهِد بذلك الخصوم والأتباع بلا خِلاف[٤٥]، وكتاب الله فيه حشدٌ من الآيات مدحاً بأوصافه، إشارةً وتصريحاً بما لا يسع المجال لسردها، فقد أقسم بعمره وببلده، وأعطاه من أســـمائه، فجعله رؤوفاً رحيماً، وأثنى عليه بعظيم خُلُقه وزكّاه قلباً وقالباً وعقلاً، ورفع ذكره، ووعده أنْ يرضيه بالوسيلة والشفاعة، وكل متشهّد يشهد أنَّه رسول الله ﷺ، ثم أحواله الســـريرية والخَلقية والخُلُقية، وشـــهادة التوراة والإنجيل كلها دلائل على صـــدقه [٤٦]، ومعجزاته الحسّية، منها ما كانت في ذاته كخاتم النبوّة وكمال الفطرة وأميته، وما كانت في صفاته الحميدة التي ما أُثِرَ عنه فعل قبيح طيلة حياته، وما ظهرت له من آياتٍ خارجة عن ذاته، كان حجر في مكة يسلِّمُ عليه يعرفه في مكة، وحنين الجذع، وانشقاق القمر، وبركته ظاهراً وباطناً ﷺ ، وإشباعه العدد الغفير من بعض الطعام وهذا لا يكون إلا بقدرة الله ﷻ أظهرها؛ لتدل على صدقه ﷺ [٤٧].

يقول خطيب الرّي في إثبات نبوّته ما تواتر ممّا سمّاه الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ: " وجوده: وقد علمناه تواتراً؛ لأنّه تواترَ ظهور نبينا ﷺ وهو: أبو القاســـم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.."[٤٨]، فبالاتفاق على أنّه الصادق الأمين أكمل الخلق الذي خصَّه ربنا بالمحبة والخلة والقرب ﷺ، وهذا يفيد العلم اليقيني الضـــروري؛ الذي يســـتحيل تواطؤ أهل التواتر على الكذب، وسنأتي لبعض جزئيات سيرة نبينا العطرة، يقسّمها خطيب الرّي مبتدئاً بسيرته العطرة:

أولاً: نَسَـبُهُ الشـريف: إنَّ نسب سيدنا النبي محمدٍ ﷺ [٤٩] محورٌ مهم؛ لإثبات دلالات نبوته، فالأنبياء خيرة الخلق وأرقاهم مستوىً في كلّ أمر، فمن الضروري أنْ يكونوا من ذوي القَدْر العَليّ في أقوامهم والنســـب الطاهر، وهذا لا يحتاج إلى دليل عليه، فالنبي ﷺ صـــفوة بني هاشـــم ومن نُخبتهم، ومن أصـــفياء ســـلالات قريش، ومن أشـــراف بطون العرب، وأعزهم نفراً في قومه[٥٠]، وصدق النبي ﷺ حيث يصف نفسه: (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ)[٥١]، فلم يكن فيه نقصٌ يُشينه، فكان سيداً كاملاً مُتَبَعاً بكل نُبْلٍ وشرف.

ثانياً: ســـيرته الاجتماعية، (قومه): ذكر لنا نبيّ الله ﷺ أنَّه اصـــطفاه الله ﷻ من خيار الناس وأرقاهم شـــأناً، فقال: (من أذلّ قريشـــاً أذلّه الله وقال: ارقبوني وقريشـــاً فإن ينصـــرني الله عليهم، فالناس لهم تبَع فلمّا فتحت مكة أسرع الناس في الإسلام فبلغنا أنّ رسول الله ﷺ قال: الناس تبع لقريش في الخير والشر كفارهم تبع لكفارِهم ومؤمنوهم تبع لمؤمنهم) [٥٢].

قال الإمام خطيب الرّي: سُـــمِّيت قريش؛ لتجمعهم، وعن ابن عباس (رضـــي الله عنهما) قوله: سمّيت قريش قريشـاً: هي الدابّة التي تكون في البحر، وهي أعظم الدوابّ لا تظفر بشـيء

من الدوابّ إلّا أكلته، فسـمّيت قريش بها، وقيل: وإذا تنزّه الرجل عن الأدناس يقال تقرش، وكذلك إذا جمع وكسب المال، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) وغيره: ولد النضر بن كنانة، وهذا يعني أنّ قريشا من ولد كنانة"(٥٣).

وبهذا يمكن أنْ نقول: أنَّ نبينا ﷺ هو من هذا النوع الإنساني السامي من الملة الحنيفية– نسل إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام– والمعدن النقي الكريم الطاهر معروفٌ عند قومه بأصالته وكانوا يقدمونه ويُحكمونه في المنازعات كما في حادثة وضع الحجر الأسود في موضعه عند الكعبة، وكانوا يلقبونه بالصادق الأمين؛ فجعله الله ﷻ محلاً لرسالته وخاتم أنبياءه وصفوته من خلقه المختار نوراً ورحمةً للعالمين.

ثالثاً: أمه وأرحامه: يقول النبي ﷺ: (إنِّي عِندَ اللهِ في أُمِّ الكِتابِ لخاتَمُ النَّبيِّينَ وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ في طِينتِه، وسأُنَبِّئُكم بتأْويلِ ذلك: دَعْوةُ أبي إبراهيمَ، وبِشارةُ عيسى قَومَه، ورُؤيا أُمِّي التي رأتْ أنَّه خرَجَ منها نورٌ أضاءتْ له قُصورُ الشامِ)(٥٤)، وفي هذا دليل على اختصاصه بخيريّته على بني آدم واجتبائه منذ أول الزمان ليكون خاتم النبيين، ذكر الإمام البيهقي(٥٥) في دلائله: "وكان عبد الله (والد النبي ﷺ) أحسن من رؤي في قريش قط، فخرج يوماً على نساء من قريش مجتمعات، فقالت امرأة منهن: يا نساء قريش، أيتكن تتزوج هذا الفتى فتصطاد النور الذي بين عينيه؟ وإنّ بين عينيه نوراً، قال: فتزوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجامعها، فحملت برسول الله، ﷺ، فولدت آمنة رسول الله، ﷺ"(٥٦).

قال الإمام خطيب الزّي: " وكان يقول ﷺ "أنا ابن العواتك"(٥٧)، فكان اختيار عبد المطلب لولده سيدة بني قصي، وكان والدها من أشراف وسادات بني زهرة أخي قصي، فيعني أنّه كان من الحَسب بمكان، ومن النسب بأعلى مقام من جهة أمه وأبيه فهذا المولود سيد ونور وسعادة للبشرية.

رابعاً: كثرة الأسماء دليل شرف للمسمى: ذكر القاضي عياض في الشِفا فصلاً في أسمائه ﷺ وما تضمّنته من فضيلته فقال: " وقد سمّاه الله ﷻ في كتابه محمداً وأحمد، فمن خصائصه أن ضَمَّنَ أسمائه ثناءه فطوى أثناء ذكره عظيم شكره، فأمّا اسمه أحمد، فأفعل مبالغة من صفة الحمد، ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد"(٥٨)، وكثرة الأسماء دلالة لشرف المسمّى، وربنا سبحانه تعالى سمَّى نبينا ﷺ في القرآن بأسماء كثيرة، وكذلك وردت في كتب الأنبياء، وفى الحديث: (لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ)(٥٩)، والمراد بهذه الخمسةَ أسماء اختصاصه بها هو أنَّه لم يتسمّ بها جميعاً قبل نبينا ﷺ من أحد من الأنبياء، وأَكْثَرَ القرآن من ذِكْرِ العديد من ألقابه ﷺ(٦٠).

يقول الإمام خطيب الزّي: "في الصحيح برواية جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ لي أسماءً: أنا محمدُ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا

الحاشرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمي، وأنا العاقبُ، والعاقبُ الذي ليس بعده نبيٌّ)[٦١]، وأيضاً أخرج في الصحيح برواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ سمّى لنفسه أسماء فقال: أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا نبيُّ الرحمةِ، ونبيُّ التوبةِ، وأنا الْمُقَفَّى، وأنا الحاشرُ، ونبيُّ الملاحِمِ)[٦٢] [٦٣].

فمِن شرفِ أهل الرُتَب كثرةُ الأسماء التي تدلّ على أفضلية المسمّى، واختصاصه بتعداد هذه المسمّيات، وهي إشارات لكمالاتٍ ومدحٍ في ذاته وصفاته، حتى أعطاه الله ﷻ من أسمائه وصفاته؛ لعلوّ قدْره وسموّ رتبته.

خامساً: كماله في ذاته وأوصافه: شخصية المصطفى ﷺ تفرض نفسها على كلِّ الشخصيات؛ لِمَا امتازت به وبشكل مختلف عن غيره في الكمالات والتفرد بجميع جوانبها بما وهبه الله له في أحواله الروحية كما قال ﷺ: "إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا"[٦٤]، وتكامله في الخَلْق والخُلُق فيصفونه: " أَحْسَنَ النَّاسِ وجْهاً وأَحْسَنَهُ خَلْقاً، ليسَ بالطَّوِيلِ البَائِنِ، ولَا بالقَصِيرِ"[٦٥]، حتى أصبح أنموذجاً للتأسي، وكان من دلالات نبوته التوازن في سلوكياته الروحية والعملية والتشريعية، يتمثّل القرآن في كل حركة وسكنة ونَفَس فكان قرآناً يمشي على الأرض.

يقول الإمام خطيب الرّي: "وهو المصطفى المبعوث إلى كافّة الورى، وخير من وطِئَ الحَصى، ومشى تحت أويم الهواء، وأشرف من أظلّته الخضراء، وأقلّتْه الغبراء، وأكرم البرية خيراً وفضلاً، وأطيبهم فرعاً وأصلاً، خِيرة الله من بريّته، المنعوت بصفوته، المخصوص بروضة من رياض الجنة بين قبره ومنبره، مؤكّد دعوته بالتأييد، ومقرّر شريعته بالتأييد، وخُصّ بالتقدّم وحدَه، وختم بأن لا نبيّ بعده.."[٦٦]، وأتى بالمعجزات، وأعظم معجزاته القرآن الذي نتلوه بين أظهرنا، ثمّ هاجر إلى المدينة وأمر بالجهاد، وكل هذا بأخبار التواتر[٦٧]، وبهذا فإنَّ التكذيب بوجود النبي محمد ﷺ كفر، ولا ينكره إلّا الكافر[٦٨]، وصحابته بالألوف، حفظوا ونشروا سنّته، ومدينته الطيبَّة طيبة الخير تُثْبِتُ مقامه، وأعطاه ربُّه سبحانه المقام المحمود والشفاعة العُظمى، وأمرنا بالتأدّب معه حياً وميتاً، وعدم مخالفته؛ إكراماً لمقامه وإجلالاً لقدْره واحتراماً لمنزلته.

الفرع الثاني: إثبات النبوة بالأدلة العقلية:

إثبات النبوّة هو فرعٌ من إثبات الألوهية لربِّ العالمين [٦٩]، والإله سبحانه خَلَقَ الخَلق؛ لعبادته، فلم يتركهم هملاً ولا سُدَىً بل يبعث لهم من هو أكثر اضطراراً من الهواء والطعام والشراب وهم الأنبياء، فَهُمْ الطريق لرضوان الله والجِنان، ولا يصلح للبشر قانون حسب أهوائهم وما تقتضيه عقولهم؛ كونها قاصرةً إلّا ببعثة النبي[٧٠]، يقول خطيب الرّي:" فإنّ النبوّة إنّما تثبتُ بتعلّق خطاب الله ﷻ لعبده إنّك رسولي كالأحكام الشرعية من الأمر والنهي والحلّ والحرمة وغيرها.."[٧١]، وقد شهِد الله ﷻ بصدقهم، وقَرَنَ الإيمان به بالإيمان برسُله[٧٢]، وذكر لنا ربّنا في

كتابه حال الأمم عند انقطاع الرسـل من فسـاد وظلم وضـلال، فيدلّ هذا على حاجة الناس الضرورية؛ لمن يصحّح لهم سبلهم، ويُرْشِدُهم للحقّ، ويحلّ مشاكلهم(٧٣)؛ فكان قانون الله العدل الذي جعل عدم هلاك الأمم إلّا بعد إرسال الرسل الذين ثبتتْ دعواهم بالتواتر، وهذا يفيد قطعيّ الثبوت، ولم يردْ ما يُبطلها(٧٤)، ومن قرائن تصديق الرسول ﷺ ما كان قبل بعثته من العلامات والبشارات، وفي حياته بعد مبعَثِه من المعجزات الحسية والعقلية، وبعد حياته حفظ دينه والتمكين له، ونصر الله لأوليائه ومحق أعداءه(٧٥).

يقول خطيب الرّي: " بعث الله ﷻ رسلاً تَتْرَا، ولم يخصّص الكل بآية واحدة، بل خصّص بالآيات أقواماً مخصوصين، ثمّ إنّهم وعدوا بمجيء أقوامٍ معيّنين وصّوا الأمم بتصديقهم؛ ولهذا أصحاب المعجزات وهم المرسلونَ أو بعضهم إنّما ابتعثوا في أزمنة غير متقاربة، وكان بعضهم يبشّر بمن يأتي بعده.."(٧٦).

ولقد عُلِمَ بالتواتر خصومةُ قريشٍ للنبيّ ﷺ، وربّنا يُذَكّرهم بأنَّه لبِث فيهم عُمُراً، ودعاهم للتفكّر في أحواله التي تُلْزِم أنَّه ليس فيه جنون ولا كذب ولا أيّ مانعٍ من موانع النبوّة، إنْ هو إلّا بشيرٌ نذير، فمِن الدلائل على ثبوت نبوته عقلاً: أنّه لم يكن منشغلاً قبل نزول الوحي بأمر النبوّة، ولا سعى في مطالبها، ولا تكلّم بفصاحة البلغاء، ولا يملك قريحة سجع الكهّان، ولا تحدّث بحديثٍ مُنافساً به الفصحاء لا يمكنهم معارضته؛ وقد أفنى عُمُرَه في قومه عقوداً لا يخطّ بقلمٍ، ولم يدرس عند بشرٍ، بل القرآن والتاريخ والجميع شهِد بأميّته، فبشهادة خصومه لم يثبت عنه سوى سَمْتَهُ السَوِيّ، وأدبه الجَمّ وخُلُقُه الراقي واستقامة أحواله..(٧٧)، فلا يستحيل على الله بعثة أصفيائه، بل هو من الجائز عقلاً (٧٨)، وهذا المصطفى يحمل من الكمالات بصفاء معدنه، ما يُؤَهِله أنْ يتلقّى تعاليم ربّه عن طريق ما يُطْلِعَه ربّه من الغيب، وتأييده بالمعجزات، يقول خطيب الرّي: "ما من أمر من خوارق العادات إلّا وهو مقدور لله ﷻ، وليس فيه قدْح في المعجزات؛ لتعلّقها بدعوى النبوّة ونزولها منزلة التصديق بالقول بما يوافق ويطابق دعواه"(٧٩).

ودليل صدقه مطابقته القول والعمل، وإعلام المشركين المحرّضين، لم يستطيعوا أنْ يجدوا عليه مثلبةً، فكان غاية افتراءاتهم رجمَه بالسحر والجنون والكهانة.. ولم يجابههم إلّا باللين والرحمة، ويدعو لهم بالهداية والمغفرة، ورجاؤه أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ﷻ، حتى قال جعفر بن أبي طالب (٨٠) للنجاشي (٨١) لمَّا سأله: "ما هذا الدين؟ قال: أيّها الملك، كنا قوماً على الشرك؛ نعبد الأوثان، ونأكلُ الميتة، ونسيءُ الجوار، ونستحلّ المحارم والدماء، فبعث الله إلينا نبيّاً من أنفسنا، نعرفُ وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا أن نعبدَ الله وحده، ونصلَ الرحم، ونحسنَ الجوار، ونصلي، ونصوم"(٨٢)، وهكذا الأنبياء ثمارهم كلّها مستطابه رغيدة.

وممّا يدلّ على صدق الرسول؛ صبره على ما تكبده من تكذيب قومه، وأذيتهم له، وما فعلوه بصحابته الأوائل من تعذيب وتقتيل، وحصاره في شِعب أبي طالب، ورميه بالحجارة حتى أُدميت قدماه في الطائف، ودامَ ذلك الأذى أعواماً طويلة، وهو ثابت مع صحابته لا يُفَتِّرُهُم عن دينهم شيء، ورغم كلّ الاضطهاد لا يرجع أحدهم عن مبدئه، ويتلقّون ذلك الابتلاء بالرضا والتسليم لله واحتساب المثوبة عند الله؛ كونه تعبداً لله ﷻ بالصبر على أقداره [٨٣].. ألّا يدلّ كل ذلك على صدق النبوّة وحقيقة الرسالة، فلو كان كاذباً(حاشاه) لانكشف أمره، ولا يستمرّ على ذلك التمحيص، وتلك المعاناة بشتى ألوانها.

وبمجموع ما ذكرنا وهو غيضٌ من فيض، ثبت في البحث: أنّ رسول الله ادّعى الرسالة وظهرت المعجزات تترا والتي عُلِمَت بالضرورة، تتوافق وما يدعو إليه، وكَثُر ذكرها في القرآن، وذلك؛ لإثبات صدق الرسول، وثبت صدقه، وهو أشدّ الناس خشية وتقوى وتعبداً؛ ابتغاء الآخرة ورضوان الله، أيُعْقَل أن يكذب ويُنافق على من يعلم السرّ وأخفى، وهو الذي قد قضى دهراً في قضيته ثابتاً على مبدئه، لا يتركه ولا يتأخر أو يتوانى في كلِّ لحظة وفي أعسر الظروف عن الدعوة إلى الله، وجَابَه كلّ أنواع المعاناة بثبات على المِحن والابتلاءات، واستقرار وثبات طبعِه، ورباطة جأشه وإقدامه في المصاعب رغم محاولات الطعون فيه والاجتهاد في اغتياله، فالعقل يستحيل جازماً أنْ تجتمع كلّ تلك الكمالات في غير الرسول ﷺ ، فثبُتت نبوّته وصدقه.

المبحث الثاني: الرد على المخالفين:

أثارت مسألة التحسين والتقبيح العقليين الكثير من السِّجَالَات، وانتشرت عدة طوائف من أهل الكلام الذين يميلون إلى أنَّ العقل فيه غِنَىً واكتفاء؛ لتحقيق غايات الإنسان؛ ورأيهم أنَّه لا حكمة من إرسال الرسل لمن يتجاوز على جناب الله ويكفر به [٨٤]، حتى كانت فكرة الطعن في النبوّة، وهؤلاء ينقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول ممّن ينكر الرسالات: لأنّه ابتداءً ينكر الإله الصانع سبحانه وتعالى، فمن لا يعترف بالمُرْسِل لا يعترف برسُلِهِ ﷺ، وهؤلاء هم: الملحدون والماديون، وهناك طائفة من بوذية الهند وهم السُّمَنِيَّةُ [٨٥] الذين ينكرون البعث، ولا يؤمنون إلّا بالمحسوسات [٨٦]، وهؤلاء ليسوا مجال بحثنا، ومناقشة أولئك في إثبات الإله الواحد ﷻ، وهذا مضانّه في قسم الإلهيات.

الفريق الثاني: يعترف بوجود الله ولكنّهم يقدمون العقل على الشرع: يقولون بأنَّ العقل يكفيهم للتميّز بين الحقّ والباطل وبه يُدرِكون الصواب من الخطأ، فَيُنكِرون بعثة الأنبياء؛ لأنّها منافية للحِكمة، وحجّتهم بأنَّ الأنبياء إمَّا أنْ يأتوا بما يوافق العقل فيكون من العبث إرسالهم، وإمّا أن يأتوا بما يُخالف العقل فيتركون؛ لإنتفاء الفائدة من بعثتهم، فالنبوّة عندهم تدور ضمن إطار الحكمة والحُسن والقُبح العقليين[٨٧]، ويستقبحون بعضاً ممّا جاء في شريعتنا، مثل ذبح الحيوانات،

واستنكار بعض التعبّدات مثل الركوع والسجود في الصلاة والطواف حول الكعبة ورمي الجمرات وتقبيل الحجر[٨٨]، وهذا هو مذهب براهمة الهند[٨٩]والصابئة[٩٠] ومن تأثّر بهم من الفلاسفة الملحدين في مسألة نفي النبوّة وإنكارها، وشُبَهُ البراهمة تدور في دائرة التحسين والتقبيح العقليين، وينقسمون إلى طوائف: منهم من يعترف برسالة آدم فقط دون غيره من الأنبياء، ومنهم من يقول بنبوّة إبراهيم فقط، وأمّا فِرقة الصابئة [٩١] فَهُمْ لا يعترفون إلّا بنبوّة شيت وإدريس لا سواهما[٩٢].

يقول خطيب الرّي: "قد أنكرت البراهمة جواز بعثة الرسل، ولهم شُبَهٌ منها: قولهم ما يأتي به الرسل لا يخلو إمّا أن يكون مستدرَكا تقتضيه العقول أو لا يكون مستدرَكا تقتضيه العقول، فإن كان مستدرَكا تقتضيه العقول، فلا فائدة في ابتعاثه، وما يخلو عن غَرضٍ صحيح فهو عبث وسَفهٍ، وإن لم يكن مستدرَكاً تقتضيه العقول، فلا يُتلقّى بالقبول، وإنّما المقبول مدلول العقول، وهذه الشُبهة مبنية على تحسين العقل وتقبيحه"[٩٣].

تعقيب: وهذا هو نفس رأي المعتزلة القائم على تحسين العقل وتقبيحه، بخلاف أهل السُنَّة الذين يبنون التحسين والتقبيح على ما وافق الشرع، لا ما وافق العقل، والعقلاء يتفقون بداهةً على استحالة الكذب في حقّ الله ﷻ، وأنَّ ظهور من يدَّعي النبوّة متحدّياً بخوارق العادات، مع عجزهم عن معارضته، فهذا برهان لصدق مقالته، وتعاضد البراهين المؤيّدة لِمَنْ اختصّهم الله بفضله، وبعثهم من الأنبياء يدلّ على ذلك[٩٤]، وربّنا سبحانه يخبرنا ببعثة الأنبياء لاختلاف التصورات عن الله ﷻ، فخالق الخلق هو الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ ليحكموا بين خلقه بالحق والعدل فيما كان فيه من انحراف عن رسالات الله، وبعض المنكرين يؤمن ببعض الأنبياء ويجحد غيرهم، وهذا يلزمهم تصديق غيرهم من المرسلين إنْ تيقّن صدق المُخبِر[٩٥]؛ كون الإله المُرْسِل سبحانه له الخلق والأمر، يتصرّف في كونه وعباده ما يشاء بالعطاء أو المنع، وكما هو قادر أنْ يُعَرِّف الخلائق بربوبيّته ووحدانيته، وهو قادر سبحانه أن يُعَرِّف خلقَه صدق من اجتباه وحَمَّلَه أمانته، فإنّه متى ما ثبُت صحة ما ينقله أعلام النبوّة من المسلمين وغيرهم من أهل الملل بالتواتر الذي لا يقبل الشك ويفيد العلم اليقيني، عُلِمَ بذلك ثبوت النبوّة؛ لأنّ الله ﷻ لا يُظهر المعجزات لمدَّعي النبوّة مع العلم بدعواهم عليه إلّا تصديقاً لهم، وليشهد بصواب دعواهم فيما يبلّغون به عن ربّهم[٩٦]، فعبادة الخالق؛ لا تُعْرَف إلّا بطريق تكليف الرسل[٩٧]، ويُلْزِم هذا معرفة الرسول ابتداءً، وبعدها معرفة التكاليف التي هي تفضيل وتكريم للمخلوقات، وهو متناغم مع الفطرة التي تريد النفع ودفع الضر، وكلّ ما يأمر به الله فهو واجب لا ممانعة فيه ولا عَنت[٩٨]؛ لِمَا فيه من مصالح العباد، فلو لم يكن في بعثة الأنبياء فائدة؛ لكانت بعثتهم عبثاً، والعبث يستحيل في حقّ الله ﷻ[٩٩]، وهؤلاء الرسل كالأطباء الذين يصفون ما فيه شِفاء العباد من عِللهم، والأنبياء أنفسهم لا يَعْرِفُون بهذا قبل بعثتهم، فهم مختارون بلطفٍ من الله ﷻ؛ لتوضيح مراد الله ﷻ[١٠٠].

تعقيب: وعقلاً كلّ ما يرشد إلى الواجب يجب اتباعه، كما يُصرف عن كل مُسْتَقْبَح لامحالة، فربنا سبحانه ﷻ بإرساله الرسل وتأييدهم بعلمٍ مُعْجِز منه سبحانه يُعرِّفنا بهم الصواب من الخطأ؛ لكي لا نقع في نقصٍ في التكاليف وفي هذا دلالة على صدقهم، فلذلك عقلاً البعثة مستحسنة لحصول الثواب بها؛ لكون بعثة الرسل هو تقريرٌ للصواب والعقل يوافق ذلك، وكذلك العقل يوافق المصلحة والشرع يدور مع المصلحة، فكان إرسال الرسل تقرير وتفصيل لِما يقرره الله ﷻ من موافقة العقل لكل ما فيه خير ومنفعة، كدفع الضرر وجلب النفع [١٠١].

وأحكام الله ﷻ وخطابه الذي يترتّب عليه الثواب والعقاب قبل بعثة الأنبياء منتفية، فببعثة الأنبياء تكون التكاليف، خلافاً للمعتزلة التي جعلت العقل حاكماً قبل البعثة في الأفعال حُسناً أو قُبحاً، وعند أهل السُنة لا حكم قبل بعثة الرّسل، فمنهم تَصدرُ التكاليف الشرعية من ثواب وعقاب وفقَ نصوص الوحي[١٠٢].

واستدلالُ منكري النبوّة بنفي التكليف الشرعي المرتبط بإرسال الرّسل، وما فيه من التزامات، سواء ما يؤآخذ عليه من أفعال أو لا؛ وهذا ينقض عليهم بما أبرموا واستحسنوا ما يُوجبه العقل من تكاليف عقلية قبل البعثة، وعندنا مقياس الخير والشر هو الوحي وليس العقل [١٠٣].

تعقيب: من ثوابت العقيدة أنَّ ربنا سبحانه ﷻ لا يأمر إلّا ما كان فيه مصلحة للخَلق، فهو أحلم وأكرم وأرحم، وهكذا في بعثة الرّسل، وما يُبَلّغُ به رسول الله كُلُّه وحيٌ من الله تعالى، فلا نحكم عليها بالقُبح؛ لأنَّ بعثة الأنبياء هي من رحمة الله بعباد ولطفه، وفيها مقاصد ودلالات على كمال قدرة الله ﷻ، وإحسانه على عباده، ويستحيل عجز ربنا سبحانه ﷻ –حاشاه– عن نصب الأدلة على صدق النبيّ، وعجباً لمن يمتدح الأسباب المادية التي تكون سبباً في استحصال النِّعَم، ويستغني بها عن خالقها، فيتعلّق بالأسباب عن المسبّب، ويشككون في الضروريات؛ لأنّه إحياء الموتى، ومخالفة الحوادث، وخرق العادات، مثل أنْ تفقد السكين خاصية الذّبح أو النار خاصية الإحراق، والعصا تكون أفعى تلقف ما يأفكون.. عرفنا كلَّ ذلك بالضرورة ويمتنع العقل أن يتصوّر فعل ذلك بالطاقات البشرية، ومن قال بها فقد جانبَ الصواب. والأنبياء يُقيمون الحُجَّة على الخَلْق بأمر الله؛ لإرشاد العباد للمعبود، وأيُّ أمرٍ يجوز ثبوته أو نفيه، فهذا مرجعه لإثبات الشرع له لا للأهواء، فليس شرطاً أنْ يُدْرَك كلّ شيء بالعقل؛ ولكون العقول تتفاوت مداركها؛ فلابد ممّن يُرشد الناس لمعرفة الله، ولهذا كانت الحاجة للأنبياء ضرورة.

ورداً على اعتراضات المعترضين بأنَّ: ليس كل آية من كتاب الله فيها أعجاز، وتحدّي..

أُجيب بالقول:

بأنَّ العلم بتحدي القرآن والتقريع بعجز الخلائق عن معارضته لهو من العلم بالضرورة، وآيات كتاب الله شُحنت بالتحدي وهذا التحدي قائم لقيام الساعة، والعرب استعاضوا عن

معارضـــته بقتال النبي؛ لإبطال دعوته وقطع ما جاء به وعجزهم عن دفعه وجحودهم له، يقول الإمام خطيب الرّي: " قلنا: ما من آية من القرآن إلّا ونقلُها ثابت على التواتر، تلقّاها قُرَّاء الخَلَف عن قُرَّاء السّلَف، ولم يزل الأمر كذلك صاغراً عن كابر، حتى أسند النقل الصحابة وما نقص عدد القُرَّاء في كل عصر عن عدد التواتر، والذي يقرّر ذلك أنّا لو شكّكنا في آية بعينها لاتّجه ذلك في كل آية، وذلك يبطل الثقة بنقل حملة القرآن، وقد اعترف الخصم بنقل القرآن تواتراً، ولا نُسَلِم أنّها (آيات التحدّي) من أواخر ما أنزل عليه، بل معظمها نزلت بمكة وتحدّى بها من يشاء من أهل مكة من ابتداء الرسالة، ولم يتمكّنوا من معارضته ولا سورة منه، قصاراً وطوالا، وكيف لا نقول ذلك؟ ولو أمكنهم معارضته لبذلوا في ذلك مُهجهم، وعلى أنّه إن ضاق الوقت في مدة حياته، فقد اتّسع عليهم الزمان بعد وفاته، فقد مضتْ سنون كثيرة ومخالفو الملة يشمّرون عن ساق الجد في معارضته، فهلّا عارضوه مع توفّر دواعيهم؟! ولِمَ لم يعارضوا سورَه على امتداد الأمد؟، وهذا على وضوحه لا يلتبس على ذوي الخبرة والبصيرة"[١٠٤].

وجاء في السِيَر أنَّ أهل مكة جحدوا وأثاروا شُبه حول القرآن واتهموه بأنَّه: سحر أو كهانة وأساطير، وكذبوا إذ شهِد ضدّهم الوليد بن المغيرة المخزومي [١٠٥] من رؤساء قريش (٩٥ق هـ – ١هـ = ٥٣٠ – ٦٢٢ م)، فقال حين سمعه: "واللهِ إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمِر وإنّ أسفله لمُغدق وما يقول هذا بشر.."[١٠٦]، ويقول خطيب الرّي: "ثمّ نقول لِمَن يقول إنّ موسى –عليه السلام– وعيسى –عليه السلام– لم يتحدّيا في آياتهما ومعجزاتهما، ولم يدعوا الخلق إلى المعارضة، ولم يرجع حقيقة الجواب عند توجّه الطلبة إلّا إلى الطرق التي تمسّكنا بها، ولو قيل بِمَ عرفتم آيات موسى وعيسى –عليهم السلام–؟ فلا جواب إلّا التمسّك بالأخبار المتواترة مع استجماع شرائطها"[١٠٧]، ويجيبهم في موضع آخر بقوله: "وافقناكم على نبوّة موسى، ولكن بناء على نبوّة محمد من قوله ومن القرآن، فإنّ نبوّة موسى ما ثبتتْ عندنا بالطريق الذي بيّنتموه، بل إنّما ثبتتْ بإخبار محمد، وكذلك اشتمال القرآن على ذكره والخبر عنه، وأنتم إذا أنكرتم القرآن ونبوّة محمد، فكيف تثبُتْ نبوة موسى –عليه السلام–؟! والعلم به يتفرّع على العلم بصدق نبوّته وثبوت القرآن"[١٠٨].

فمن لوازم الإيمان التصديق والإيمان بنبيّنا ﷺ؛ كما هو التصديق والإيمان بجميع الأنبياء، فهو مُكَّمِلُ لقائمة رسالات الله، وتكذيبه هو تكذيب لسلسلة الأنبياء من قَبْلِه الذين أخذ الله الميثاق عليهم بتصديق النبيّ واتّباعه، وما أظهره الله ﷻ من آياتٍ للأنبياء مثلها وأضعافها، أظهرها الله تعالى لنبيّنا؛ حسيّة ومعنوية، وكل ذلك ثبتَ باليقين حتى أنّ أهل الأديان والفلسفات المختلفة ممّن يُنكر النبوّات، جحدوا تواترَ آيات موسى وعيسى[١٠٩]، فاليهود يتمسّكون بشروط تواتر نقل الأخبار في الإيمان بتحدّي المعجزات، ونحن لا نُسَلِّم لهم استيفاء شروط التواتر

لناقليهم؛ فاليهود لم يبلغوا حدّ التواتر في نقل التوراة، فقد جرت عليهم في التاريخ فتنٌ، قُتِل الكثير منهم ومَن بقي منهم تبعثروا وتمزقوا أُمماً في الأرض، والقرآن وحده هو من أخبرنا بمعجزات موسى وعيسى، ونبيّنا لثلاث وعشرين سنةً يتحدى بآياته الأنس والجنّ وليومنا هذا، على كثرة تَجَمُّع أعدائه وبما أوتوا من أسباب ماديّة ومعنوية لم يستطيعوا معارضة القرآن، إضافة لتكفّل الله ﷻ بحفظه ولم يتكفّل بحفظ غيره.

الخاتمة وأهم النتائج التي توصل إليها البحث:

تعرفنا على إمامٍ كبير شَخْصِيَّتَهُ مُنْدَثِرَةً مَغْمُورٍ ذِكْرَهُ، حاولتُ التعريف بها وتبيانها، وإبراز عقيدته، وتبيان منهجية خطيب الرّي العقدية التي تعتمد النقل والعقل معاً، وتبحّره في مسائل الخلاف في فروع العقيدة، وردوده على المخالفين بالأدلة السمعية والعقلية معاً.

وأهم ما توصل إليه البحث:

١. إثبات النبوة عقلاً وشرعاً بالأدلة، واختلاف أهل الكلام في ذلك.

٢. إثبات ضرورة بعثة الأنبياء، وحاجة البشرية لهم، ووظيفتهم في الحياة.

٣. إثبات حُجَّة الله على خلقه بخرق العادات تصديقاً لرسله ودعواهم والرد على المخالفين.

الهوامش:

(١) الرازي: بفتح الراء وكسر الزاي نسبة الى مدينة (الرَّي)، وألحقوا الرازي في النسبة على غير قياس النسب. ينظر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا باقر الموسوي الأصبهاني، تح أسد الله إسماعيليان، عنيتْ بنشره مؤسسة إسماعيليان، مطبعة مهر استوار قم، (د.ط)،١٣٩١هـ، ج٤، ص٧٣.

(٢) سنفصل بإذن الله في عقيدته ومنهجه العلمي فيها.

(٣) التيمي البكري: نسبة الى قبيلة تيم، وهم من بطون البكريين، من قبيلة قريش، من مرة بن كعب العدنانيين. ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، تح إبراهيم الإبياري، دار الكتاب، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص١٢٠.

(٤) ينظر: الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره، الدكتور علي محمد حسن العماري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دار التحرير للطبع والنشر، الجمهورية العربية المتحدة – القاهرة، لجنة القرآن والحديث، ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م، ص ١١ – ١٦.

(٥) الرياض المونقة في آراء أهل العلم، الفخر الرازي، تح الأسعد جمعة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مركز النشر الجامعي، – القيروان، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٨٤.

(٦) ينظر: الأعلام، الزركلي، ج٦، ص ٣١٣، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (ت: ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، تح الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، ص ٤٦٥.

(٧) ينظر ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ج ٧، ص ٢٤٢.

(٨) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السُبكي، ج ٧، ص ٢٤٢.

(٩) ينظر: المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٤٢.

(١٠) ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، ج٩، ص ١١٨.

(١١) ينظر: الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره، الدكتور علي محمد حسن العماري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دار التحرير للطبع والنشر، الجمهورية العربية المتحدة – القاهرة، لجنة القرآن والحديث، ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م، ص ١١ – ١٦.

(١٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده (ت ٩٦٢هـ/٩٠١م)، تحقيق كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ط ١، ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ م، ج٢، ص ١٠٣.

(١٣) ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله بن أحمد بن يحيى العدوي، العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣ هـ، ج ٩، ص ١١٨.

(١٤) ينظر: المرجع في تاريخ علم الكلام، زابينة شميتكة، ترجمة د. أسامة الشفيع تقديم حسن الشافعي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط١، ٢٠١٨م، ج١، ص ٦٤.

(١٥) خطيب الرّي ذكر في كتابه أنَّه سمّى نفسه بالمكيّ. ويذكر الفخر الرازي: أنَّ جدّه (حسن) استوطن مكة ٤٠عاماً، ثم انتقلت عائلتهم الى مدينة الرّي. ينظر: الرياض المونقة في آراء أهل العلم، الفخر الرازي، ص١٨٤.

(١٦) ينظر: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد الأسدي الشهبي الدمشقي ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م)،

تح د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ، ج ٢، ص ١٥.

(١٧) ينظر: اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين، الفخر الرازي، تح علي سامي النشار، دار الكتب العلمية – بيروت، (د. ت، د. ط)، ص ٩٢ – ٩٣.

(١٨) تاج الدين السُّبْكي (٧٢٧ – ٧٧١ هـ = ١٣٢٧ – ١٣٧٠ م)، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. وكان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه قضاء في الشام وعزل، توفي بالطاعون. من تصانيفه طبقات الشافعية الكبرى، ينظر: الأعلام، الزركلي، ج٤ ص ١٨٤ – ١٨٥.

(١٩) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ج٧، ص ٤٢٤.

(٢٠) ينظر: كتاب نهاية المرام الظروف التاريخية، حسن أنصار، (طبعة ميراث مكتوب للنشر)، أبريل، شهر ٦، ٢٠٢١م، مجلة نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة، بيروت، رابط موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: http://nosos.net/. تاريخ الزيارة:١١ /١١ / ٢٠٢٢م.

(٢١) ينظر: اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين، الفخر الرازي(ت٦٠٦هـ)، تح علي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٩٢.

(٢٢) ينظر: نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الرّي، ضياء الدين أبي القاسم عمر بن الحسين بن الحسن الطبري المكي الشافعي (ت بعد ٥٥هـ)، اعتنى به عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،٢٠١٨م، ص ٦٦٣.

(٢٣) القضاء والقدر، الفخر الرازي، صحّحه محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، ص١٢، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان البرمكي الربلي، ج٤، ص ٢٥٢.

(٢٤) ينظر: نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الري: ص ٦٥٥ وما بعدها.

(٢٥) الإمام السبكي جعله من ضمن الطبقة الخامسة من أصحاب الإمام الشافعي –رضي الله عنه– من مات بعد الخمسمائة، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج٦، ص٧.

(٢٦) الأشعرية: فِرقة كلامية نسبة إلى مؤسسها أبي الحسن علي الأشعري، له أثر في تثبيت مذهب أهل السنة، له أربع مؤلفات في الأصول، يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٥، ص ٨٥. وينظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، ج٢، ص١٥.

(٢٧) ينظر: موقع المستودع الدعوي الرقمي موضوع الأشعرية على شبكة المعلومات العالمية، رابط: https://dawa.center/religion/66. آخر زيارة:٢٠٢٢/١١/٢٢م.

(٢٨) ينظر: أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي علي بن محمد سيف الدين (ت ٦٣١هـ/١٢٣٤م)، تح: أ. د. أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية– القاهرة، ط٢، ١٤٢٤ هـ–٢٠٠٤م، ج٤، ص١٢.

(٢٩) نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الري، ص ٣٤٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٣٤٩.

(٣١) المصدر نفسه، ص٣٤٣.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٤.

(٣٣) الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت ٣٣٣ هـ /٩٤٤ م): من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) من كتبه التوحيد وأوهام المعتزلة ومآخذ الشرائع في أصول الفقه، مات بسمرقند،

ينظر: الأعلام، الزركلي، ج٧، ص ١٩.

(٣٤) ينظر: التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤)، تح د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية، (د.ط، د.ت)، ج١، ص ٢٠٢.

(٣٥) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني الأسد أبادي (ت ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م)، المتكلّم، شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، من كِبار فقهاء الشافعية. ولي قضاء القُضاة بالرّي، وتصانيفه كثيرة، منها: الأمالي في الحديث ودلائل النبوة، وطبقات المعتزلة، شرح الأصول الخمسة، والمغني، تخرج به خلق في الرأي الممقوت. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٧، ص ٢٤٤.

(٣٦) شرح الأصول الخمسة، قاضي القضاة عبد الجبار، ص ٥٨٦.

(٣٧) الإرهاص: وهو كل أمرٍ خارقٍ للعادة يتقدّم بعثة النبي، فهو بمقام مقدّمة للنبوة، كالنور الذي كان في جبين آباء رسول الله نبينا ﷺ، وإظلال الغمام له، وشقّ صدره، وقصة أصحاب الفيل. ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي السفاريني، (ت ١١٨٨هـ/١٧٧٤م)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط ٢، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، ج ٢، ص ٣٩٢، والتعريفات، الجرجاني، ص ١٦.

(٣٨) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج٢، ص٢٢٩.

(٣٩) ينظر: نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الرّي، ص ٤٥١ وما بعدها.

(٤٠) ينظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج ١٥، ص ٣٨٣.

(٤١) المسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني الذهلي (١٦٤–٢٤١هـ / ٧٨٠–٨٥٥م)، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ج ١٣، ص ٥٢٢، رقم ٨٢٠٣، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤٢) السُّمَنِيَّةُ: وهم قوم من عباد الأوثان من فلاسفة الهند ينتسبون إلى سومنات، كانوا قبل ظهور الإسلام في بلاد ما وراء النهر، يقولون بالتناسخ ولا يؤمنون إلا بالمحسوسات الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وهو الطريق الوحيد للعلم ينكرون العلم العقلي، وينكرون المعاد، وينفون النظر والاستدلال ويقولون بقدم العالم. ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفِرق الهالكين، الإسفراييني، تح: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص ١٤٩.

(٤٣) البراهمة: سأفصل القول عن ترجمة هذه الطائفة في مطلب مستقل، راجع البحث ص ١١٢.

(٤٤) ينظر: تبصرة الأدلة في أصول الدين، النسفي، أبي المعين ميمون الماتريدي (ت ٥٠٨هـ/١١١٤م)، تح محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م، ج٢، ص ٦٦٤، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، الشوكاني، ج١، ص ١٢٨.

(٤٥) ينظر: الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي الحسيني، (ت ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، دار ابن كثير – دمشق، ط١، ١٤٢٣ هـ، ص ١٥١ وما بعدها.

(٤٦) ينظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني البيهقي، (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦م)، تح أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، دار الهدي النبوي (المنصورة) – دار الفضيلة (الرياض)، ط٢، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، ص ٢٩٦ وما بعدها. وشرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار،

ص ٥٩٥.

(٤٧) ينظر: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل اليمني القاسمي، (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م .)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص ٨٠.

(٤٨) نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الرّي، ص ٤٢٦.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٤٢٦.

(٥٠) ينظر: قصة هرقل مع أبي سفيان وأسئلته: صحيح البخاري، ج١، ص ٨ الرقم: ٧، باب: كيف كان بدء الوحي.

(٥١) صحيح البخاري، ج٤، ص ١٨٩، رقم ٣٥٥٧، باب: صفة النبي ﷺ.

(٥٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج١٥، ص ٦٧٥.

(٥٣) ينظر: نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الرّي، ص ٤٢٦–٤٢٧.

(٥٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج ٢٨، ص ٣٩٥ رقم ١٧١٦٣. صححه شعيب الأرناؤوط بقوله: صحيح لغيره دون قوله: "وكذلك ترى أمهاتُ النبيين صلوات الله عليهم".

(٥٥) البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، وبيهقي: من قرى نيسابور، طلب العلم وهو فتياً، وهو من كبار أصحاب الحاكم، وأخذ فن الأصول، وارتحل إلى العراق والجبال والحجاز، ثم صنف ما يقارب ألف جزء، منها السنن الكبير في عشر مجلدات والسنن والآثار في أربع مجلدات. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٨، ص ١٦٣ – ١٧٠.

(٥٦) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ، ج١، ص ٨٨.

(٥٧) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٣٦. يقول العرب للمُتَضَمِّخَة بالخلوق والطيب عاتكة، وقوسٌ عاتكة طال بها العهد فاحمرت، وعتك فلان على فلان بشر إذا اعترض له ونبيذ عتيك أي: صاف ولبن عتيك شديد الحموضة" نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الرّي، ص ٤٢٧.

(٥٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، القاضي عياض، ج١، ص ٢٢٩.

(٥٩) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسولِ اللهِ ﷺ، رقم (٣٥٣٢)، ومسلم، كتاب الفضائل.

(٦٠) ينظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبى بكر القتيبي المصري، شهاب الدين القسطلاني، (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م)، المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر، (د.ط، د.ت)، ج١، ص ٤٤٢.

(٦١) صحيح البخاري، ج٦، ص ١٥١ رقم ٤٨٩٦ باب: من بعدي اسمه أحمد وينظر: صحيح مسلم، ج٤، ص ١٨٢٨ رقم٢٣٥٤.

(٦٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٢٨ رقم ٢٣٥٥ باب: في أسمائه ﷺ.

(٦٣) نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الرّي، ص ٤٢٧.

(٦٤) صحيح البخاري، ج١، ص١٣، رقم: ٢٠، باب: قول النبيّ ﷺ أنا.

(٦٥) المصدر نفسه، ج٤، ص ١٨٨، رقم ٣٥٤٩، باب: صفة النبيّ ﷺ.

(٦٦) نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الرّي، ص ٤٢٨.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ٤٣٢.

(٦٨) ينظر: دلائل النبوة، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله من الإعجاز، البيهقي، ج٢، ص ١٩٨ فما بعدها.

(٦٩) ينظر: المطالب العالية، الفخر الرازي، ج٨، ص ٥٦.

(٧٠) ينظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، ص ٢٣٨.

(٧١) نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الري، ص ٣٤٣.

(٧٢) سورة النساء: ١٣٦، ١٧١، سورة الأعراف:١٥٨، سورة الحديد:١٩، سورة الحجرات:١٥.

(٧٣) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، ج٢، ص ١٨٣، ١٨٩.

(٧٤) ينظر: الأربعين في أصول الدين، الفخر الرازي، ج٣، ص ٨٠ وما بعدها.

(٧٥) ينظر: المصدر نفسه، ج٣، ص ٨٧.

(٧٦) نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الرّي، ص ٣٥٦.

(٧٧) ينظر: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، القاسمي ابن الوزير، ص80 .

(٧٨) ينظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، ص ٢٣٥.

(٧٩) نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الري، ص٣٦٥.

(٨٠) جعفر بن أبي طالب: كان من السابقين الأولين، هاجر الهجرتان، كانوا يسمّونه أبا المساكين، وعن ابن عمر، قال: وجدت في مقدّم جسد جعفر يوم مؤتة بضعاً وأربعين ضربةً. ولمّا قدِم جعفر من الحبشة عند فتح خيبر، روي أنّ النبي ﷺ اعتنقه وقال: "ما أدري أنا أُسرُّ بقدوم جعفر أو بفتح خيبر". ينظر: سير أعلام النبلاء الذهبي، ج سيرة ٢، ص ١٢٩ – ١٣٠.

(٨١) النجاشي ملك الحبشة: أصحمة، ملك الحبشة، معدود في الصحابة، كان ممّن حسُن إسلامه، ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحبيّ من وجه، وقد توفّي في حياة النبي –ﷺ– فصلّى عليه بالناس صلاة الغائب. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١، ص ٤٢٨.

(٨٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج٣، ص ٧٠.

(٨٣) ينظر: الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية، سعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨م.)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، ج١، ص ٢٧١ وما بعدها.

(٨٤) ينظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الباقلاني، ص ١٣٧– ١٣٨.

(٨٥) السُّمَنِيَّةُ: وهم قوم من عباد الأوثان من فلاسفة الهند ينتسبون إلى سومنات، كانوا قبل ظهور الإسلام في بلاد ما وراء النهر، يقولون بالتناسخ ولا يؤمنون إلا بالمحسوسات الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وهو الطريق الوحيد للعلم ينكرون العلم العقلي، وينكرون المعاد، وينفون النظر والاستدلال ويقولون بقدم العالم. ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفِرق الهالكين، الإسفراييني، تح كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص ١٤٩.

(٨٦) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد أبو منصور البغدادي الإسفراييني، (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ص ٢٥٣، ٣١١، ٣٤٦. والمواقف، الفيجي، ج١، ص ١٣٠. وتبصرة الأدلة في أصول الدين، النسفي، أبي المعين ميمون الماتريدي (ت

٥٠٨هـ/١١١٤م)، تح محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م، ج٢، ص ٦٦٤.

(٨٧) ينظر: غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الآمدي، (ت ٦٣١هـ/١٢٣٤م)، تح حسن محمود عبد اللطيف، لمجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، (د.ت، د.ت)، ص ٢٣٣ – ٢٣٤. وشرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، ج٢، ص ١٧٥.

(٨٨) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج٣، ص ٩٦.

(٨٩) وهم قبيلة في الهند ينسبون أنفسهم لرجل منهم يدّعى (براهم)، وهو من ملوكهم القدماء، وقد مهّد لهم بطلان النبوّات وإنكارها، بل واستحالتها في العقول، وقالوا: العقل هو السبيل إلى معرفة ما هو واجب وما هو محظور، وأنَّ الله فرض على خلقِه الاستدلال عليه ووجوب شكره، وكلّ عاقل في قلبه إمَّا خاطر من جهة الله يُعَرِّفه على ما يوجبه عقله من المعرفة، وخاطر ثانٍ من الشيطان يُبعِدُه عن طاعة الله، والتكليف يكون بأحد هذين الخاطرين. ينظر: الإسفراييني، أصول الدِّين، ص ٢٦، والملل والنحل، الشهرستاني، ج٣، ص ٩٦.

(٩٠) الصابئة: عبَّاد النجوم، وأصل الفعل صبأ يعني خرج من دين إلى آخر، ينكرون النبوات، ومذهبهم أنّ الله تعالى قائم بكل مكان، ناطق بكل لسان، ظاهر في كل شخص من أشخاص البشر، وذلك بمعنى الحلول. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج١، ص ١٧٥.

(٩١) مر تعريفهم، راجع البحث ص ١١٠.

(٩٢) ينظر: غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، ص ٣١٨.

(٩٣) نهاية المرام في دراية الكلام، خطيب الري، ص ٣٤٦.

(٩٤) ينظر: الفصل في الأهواء والملل والنحل، ابن حزم، ج ١، ص ٦٣.

(٩٥) ينظر: غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، ص ٣٣٩.

(٩٦) ينظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، القاضي أبو بكر الباقلاني، ص ١٥٥.

(٩٧) التكليف: خطاب الله المتعلّق بفعل المكلّف من جهة إنّه مكلّف (فتناول الفعل القلبي الاعتقادي وغيره). ينظر: حاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على شرح الإمام المحليّ على جمع الجوامع، تح عبد الحفيظ بن طاهر الجزائري، مكتبة الرُشد – ناشرون – المملكة العربية السعودية –الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ج١، ص ٢٠٠.

(٩٨) زاد في تعريف التكليف: ومن ثمَّ، لا حُكْمَ إلاَ لله، ويكون الحُسن والقبح للأشياء بحسب ملائمة الطبع ونفرته منها وصفة الكمال، كحُسن العلوم وتقبيح الجهل، فيها يحكم بها بالعقل ويترتّب على ذلك المدح في العاجل والعقاب في الآجل، مثل: أداء الطاعة والعصيان، ونأخذ الأحكام بهذا من الرّسُل المبعوثين ولا نعرف الأحكام إلّا بهذا خلافاً للمعتزلة الذين يجعلون العقل تابعاً للشرع.. ينظر المصدر نفسه، حاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على شرح الإمام المحليّ، الأنصاري، ج١، ص٢٠٧.

(٩٩) ينظر: الأربعين في أصول الدين، فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦ هـ/١٢٠٩م)، تح: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة–الأزهر، (د.ط، د.ت)، ج٢، ص ١١١.

(١٠٠) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني، ص ٣٠٤.

(١٠١) ينظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٥٦٤ – ٥٦٥.

(١٠٢) ينظر: حاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على شرح الإمام المحليّ، الأنصاري، ج١، ص ٢١٠ –

.٢١١

(١٠٣) ينظر: المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ/١١١١م .)، تح محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م، ج١، ص ٣٧٧. وقاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، المجموع في المحيط بالتكليف، وهو من جمع أبي محمد الحسن بن أحمد بن متويه (ت ٤٦٩ هـ/١٠٧٦م .)، عني بتصحيحه ونشره الأب جين يوسف هوبن اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية – بيروت، (د. ط، د. ت)، ج١، ص ١٤. والفقيه أبي الصَّلاح الحلبيّ (٣٧٤هـ – ٤٤٧هـ)، الكافي في الفقه، تح رضا الأستاذي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي العامة، (د.ط، د.ت)، ص٤٢.

(١٠٤) خطيب الرّي، نهاية المرام في دراية الكلام، ص ٤٣٨.

(١٠٥) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس، من زعماء قريش، ومن زنادقتها، وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، ووصف الرسول – ﷺ– بأنّه (ساحر)، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد.. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٨، ص ١٢٢.

(١٠٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص ٦١.

(١٠٧) خطيب الرّي، نهاية المرام في دراية الكلام، ص ٤٤١.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ٤٤٣.

(١٠٩) ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٤٢.